تفسير ابن كثير

يقول تعالى : يريد هؤلاء الكفار من المشركين وأهل الكتاب { أن يطفئوا نور ا } أي ما بعث به رسول ا صلى ا عليه وسلّم من الهدى ودين الحق بمجرد جدالهم وافترائهم فمثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفىء شعاع الشمس أو نور القمر بنفخه وهذا لا سبيل إليه فكذلك ما أرسل به رسول ا صلى ا عليه وسلّم لابد أن يتم ويظهر ولهذا قال تعالى مقابلا لهم فيما راموه وأرادوه : { ويأبى ا إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون } والكافر هو الذي يستر الشيء ويغطيه ومنه سمي الليل كافرا لأنه يستر الأشياء والزارع كافرا لأنه يغطي الحب في الأرض كما قال { أعجب الكفار نباته } ثم قال تعالى { هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق } فالهدى هو ما جاء به من الإخبارات الصادقة والإيمان الصحيح والعلم النافع ودين الحق هي الأعمال الصالحة الصحيحة النافعة في الدنيا والاخرة .

{ ليظهره على الدين كله } أي على سائر الأديان كما ثبت في الصحيح عن رسول ا صلى ا عليه وسلّم أنه قال : [إن ا زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها] وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن محمد بن أبي يعقوب سمعت شقيق بن حيان يحدث عن مسعود بن قبيصة أو قبيصة بن مسعود يقول : صلى هذا الحي من محارب الصبح فلما صلوا قال شاب منهم : سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول : [إنه ستفتح لكم مشارق الأرض ومغاربها وإن عمالها في النار إلا من اتقى ا وأدى الأمانة] وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان حدثنا سليم بن عامر عن تميم الداري Bه قال : سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول [ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك ا بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين يعز عزيزا ويذل ذليلا عزا يعز ا به الإسلام وذلا يذل ا به الكفر] فكان تميم الداري يقول : قد عرفت ذلك أهل بيتي لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز ولقد أصاب من كان كافرا منهم الذل والصغار والجزية .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا الوليد بن مسلم حدثني ابن جابر سمعت سليم بن عامر قال سمعت المقداد بن الأسود يقول سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول [لا يبقى على وجه الأرض بيت مدر ولا وبر إلا دخلته كلمة الإسلام يعز عزيزا ويذل ذليلا إما يعزهم ا فيجعلهم من أهلها وإما يذلهم فيدينون لها] وفي المسند أيضا حدثنا محمد بن أبي عدي عن ابن عون عن ابن سيرين عن أبي حذيفة عن عدي بن حاتم سمعه يقول دخلت على رسول ا صلى ا عليه وسلّم فقال : [يا عدي أسلم تسلم] فقلت إني من أهل دين قال : [أنا أعلم بدينك منك] فقلت أنت أعلم بديني مني ؟ قال : [نعم ألست من الركوسية وأنت تأكل

مرباع قومك ؟ قلت : بلى ! قال : فإن هذا لا يحل لك في دينك] قال : فلم يعد أن قالها فتواضعت لها قال : [أما إني أعلم ما الذي يمنعك من الإسلام تقول إنما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له وقد رمتهم العرب أتعرف الحيرة ؟] قلت لم أرها وقد سمعت بها قال : [فو الذي نفسي بيده ليتمن ا هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت من غير جوار أحد ولتفتحن كنوز كسرى بن هرمز] قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال : [نعم كسرى بن هرمز وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد] قال عدي بن حاتم : فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت من غير جوار أحد ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة لأن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قد قالها وقال مسلم : حدثنا أبو معن زيد بن يزيد الرقاشي حدثنا خالد بن الحارث حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن الأسود بن العلاء عن أبي سلمة عن عائشة Bها قالت : سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول : [لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى] فقلت : يا رسول ا إن كنت لأظن حين أنزل ا D { هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق } الاية أن ذلك تام قال : [إنه سيكون من ذلك ما شاء ا D ثم يبعث ا ريحا طيبة فيتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم]